كتاب الأدب

بابٌ في الحياء
وفضله، والحثّ على التخلّق به

٦٨٠ ـ عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهما «أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الحَيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: دَعْهُ، فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمانِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٨١ ـ وعن عِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الحَياءُ لا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ لمسلم: «الحَياءُ خَيْرٌ كُلُّهُ أَوْ قَالَ: الحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ».

٦٨٢ ـ وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللَّه عنه، أَنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «الإِيْمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ «لا إِلَه إِلَّا اللَّهُ»، وَأَدْنَاهَا «إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»، وَالحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ» مُتَّفَقٌ عليه.

«البِضْعُ»: مِنَ الثَّلَاثَةِ إِلى الْعَشَرَةِ، «وَالشُّعْبَةُ»: الْقِطْعَةُ وَالخَصْلَةُ، «وَالإِماطَةُ»: الإِزَالَةُ، «وَالأَذَى»: مَا يُؤْذِي كَحَجَرٍ وَشَوْكٍ وَطِينٍ وَرَمَادٍ وَقَذَرٍ وَنَحْوِ ذلِكَ.

٦٨٣ ـ وعن أَبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي اللَّه عنه، قال: «كان رسول اللَّه ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ في خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئاً يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ في وَجْهِهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

قال العلماءُ: حَقِيقَةُ الحَيَاءِ خُلُقٌ يبعثُ عَلى تَرْكِ الْقَبِيحِ، وَيَمْنَعُ مِنَ التَّقْصِيرِ في حَقِّ ذِي الحَقِّ، وَرَوَيْنَا عَنْ أَبي الْقَاسِمِ الجُنَيْدِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: «الحَيَاءُ رُؤْيَةُ الآلاءِ، أَيْ: النَّعَمِ، وَرُؤْيَةُ التَّقْصِيرِ، فَيَتَوَلَّدُ بَيْنَهُمَا حَالَةٌ تُسَمَّى حَيَاءً» واللَّه أعلم.

❁❁❁

بابٌ في حفظ السرّ

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

٦٨٤ ـ وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلُ يُفْضِي إِلى المَرْأَةِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا»[١] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦٨٥ ـ وعن عبدِ اللَّهِ بن عمر رضي الله عنهما «أن عمرَ رضي الله عنه، حِينَ تَأَيَّمَتْ بِنْتُهُ حَفْصَةُ[٢] قال: لَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، رضي الله عنه، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ[٣] فَقلتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ؟ قال: سَأَنْظُرُ في أَمْرِي!! فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، ثُمَّ لَقِيَنِي، فقال: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لا أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هذا، فَلَقِيتُ أَبا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه، فقلتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمَتَ أبو بكر رَضِيَ اللَّه عنه، فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئاً[٤]!! فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّي على عُثْمَانَ[٥]، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، ثُمَّ خَطَبَهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فقالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ، حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ، فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئاً؟ فقلت: نَعَمْ. قال: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فيمَا عَرَضْتَ عَلَيَّ، إِلَّا أَنِّي كُنْتُ عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لأُفْشِيَ سِرَّ رسول اللَّه ﷺ[٦]، وَلَوْ تَرَكَهَا النَّبِيُّ ﷺ لَقَبِلْتُهَا» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

---

(١) «الرجل يفضي إلى المرأة» هذا كناية عمّا يجري بين الرجل والمرأة من مقدمات الجماع، من الغزل، والحبّ، وما يدور من كلمات تقولها الزوجة لزوجها من حبّ الاستمتاع بالجماع، وأمثال ذلك، فإفشاء مثل هذا السرّ من الكبائر عند الله، وهو يتنافى مع أدب المسلم، وشهامة الرجل الفاضل، أن يبوح بأسرارِ زوجية، تُسقط مكانته عند الناس، ولهذا عدّه الرسول ﷺ أشرّ الناس.

(٢) «تأيمت ابنته حفصة» أي مات زوجها «خُنَيْس بن حُذافة» في غزوة أحد، من جراحةٍ أصابته في المعركة.

(٣) «فعرضتها على عثمان» أي فعرض حفصة على عثمان ليزوّجه بها.

(٤) «فلم يرجع إليّ شيئاً» فلم يردّ عليه بإيجاب أو سلب.

(٥) «فكنت عليه أوجدَ مني على عثمان» أي أشدّ غضباً عليه من عثمان.

(٦) «لم أكن لأفشي سرّ رسول الله» أي كنت سمعتُ الرسول ﷺ يذكرها يرغب الزواج بها، فلذلك لم أردّ عليك، خشية إفشاء سرّ الرسول ﷺ، ولو لم يذكرها الرسول لقبلتها، ففي هذا الحديث وجوب كتمان السرّ.

قوله: «تَأَيَّمْتَ» أي: صَارَتْ بِلا زَوْجٍ، وَكَانَ زَوْجُهَا تُوُفِّيَ رضي اللَّه عنه، «وَجَدْتَ»: غَضِبْتَ.

٦٨٦ ـ وعن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: «كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّه عنها تَمْشِي، مَا تُخْطِئُ مِشْيَتُهَا[١] مِنْ مِشْيَةِ رسول اللَّه ﷺ شَيْئاً، فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ بِهَا وقال: «مَرْحَباً بِابْنَتِي» ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيداً. فَلَمَّا رَأَى جَزَعَهَا، سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ، فقلتُ لَهَا: خَصَّكِ رسولُ اللَّه ﷺ مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ بِالسِّرَارِ، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ! فَلَمَّا قَامَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ سَأَلْتُهَا: مَا قَالَ لكِ رسولُ اللَّه ﷺ؟ قالت: مَا كُنْتُ لأُفْشِيَ عَلى رسول اللَّه ﷺ سِرَّهُ. فَلَمَّا تُوُفِّيَ رسولُ اللَّه ﷺ قلتُ: عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا[٢] لِي عَلَيْكِ مِنَ الحَقِّ، لَمَا حَدَّثْتِنِي ما قال لكِ رسولُ اللَّهِ ﷺ؟ فقالتْ: أَمَّا الآنَ فَنَعَمْ، أَمَّا حِينَ سَارَّنِي في المَرَّةِ الأولى فَأَخْبَرَنِي «أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ[٣] القُرْآنَ في كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، وَأَنَّهُ عَارَضَهُ الآنَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنِّي لا أُرَى الأَجَلَ إِلَّا قَدِ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي، فَإِنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ، فَبَكَيْتُ بُكَائِيَ الَّذِي رَأَيْتِ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ، فقالَ يَا فَاطِمَةُ: أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هذِهِ الأُمَّةِ؟ فَضَحِكْتُ ضَحِكِي الَّذِي رَأَيْتِ»[٤] مُتَّفَقٌ عليه. وهذا لفظ مسلم.

---

(١) «ما تخطئ مِشيتها» بكسر الميم أي هيئتها في المشي كمشية النبي ﷺ.

(٢) «عزمتُ عليك» أي أقسمتُ عليك أن تخبريني.

(٣) «كان يعارضه القرآن مرة» أي كان جبريل يستمع إلى قراءة النبي ﷺ، ثم يقرأ جبريل عليه جميع ما نزل، مرة واحدة، وفي ذلك العام عرضه مرتين.

(٤) هذه هي فاطمة الزهراء، تُقْبِلُ على رسول اللَّه ﷺ، فيرحِّبُ بها ويؤانِسُها بحديثه، ويُكرمها، ثم يُسِرُّ إليها خبراً فتبكي، ولماذا تبكي؟ لأن الرسول أخبرها بأن وفاته قريبة، فقد شعر بنزول جبريل عليه مرتين بقرب الأجل، وحين رأى الرسولُ ﷺ حزنَها الشديدَ، أخبرها بما يسُرُّها، ويُكفكفُ دمعَها، وهي للبشارة بأنها سيدة نساء المؤمنين في الجنة، وأنها أول النساء لحاقاً به بعد موته، فاستبشرت بهذه البشارة وضحكت!! ولم تكشف السرَّ الذي أخبرها به الرسولُ ﷺ، إلَّا بعد موته، وهكذا كان الأمر، فقد التحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى، بعد فترة قصيرة من الزمن، وكانت أولَ الناسِ لحاقاً به ابنته فاطمة الزهراء رضي اللَّه عنها وأرضاها!

ويا له من فضل عظيم، نالته السيدة فاطمة الزهراء، أن تكون سيدة نساء هذه الأمة!؟

٦٨٧ ـ وعن ثابتٍ عن أنس، رضي الله عنه قال: «أَتَى عَلَيَّ رسولُ اللَّه ﷺ وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَبَعَثَنِي في حاجَةٍ، فَأَبْطَأْتُ عَلى أُمِّي، فَلَمَّا جِئْتُ قالت: مَا حَبَسَكَ؟ فقلتُ: بَعَثَنِي رسولُ اللَّه ﷺ لحَاجَةٍ، قالت: مَا حَاجَتُهُ؟ قلتُ: إنَّهَا سِرٌ، قالتْ: لا تُخْبِرَنَّ بِسِرِّ رسول اللَّه ﷺ أَحَداً، قال أَنَسٌ: وَاللَّهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَداً لَحَدَّثْتُكَ بِهِ يَا ثَابِتُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وروى البخاري بَعْضَهُ مُخْتَصراً.

❁❁❁

باب الوفاء بالعَهْدِ وإنجاز الوَعد

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ [النحل: ٩١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٢ ـ ٣]

٦٨٨ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، أَنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ[1]: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذا اؤْتُمِنَ خَانَ» مُتَّفَقٌ عليه.

زَادَ في روايةٍ لمسلم: «وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مسلِمٌ».

٦٨٩ ـ وعن عبدِ اللَّهِ بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما، أَنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً!! وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ

---

(١) «آيةُ المنافق» أي علامةُ الشخص المنافق، هذه الخصال الذميمة: الكذبُ في القول، والإخلافُ في الوعد، والخيانةُ في الأمانة!! والنفاقُ أقبحُ مرضٍ نفسي، وهو أن يخالفَ اللسانُ القلبَ، فيظهرُ للناس خلافَ ما في قلبه، كما قال الشاعر:

يُعْطيكَ من طَرَفِ اللِّسانِ حَلاوةً ... ويَرُوغُ فيكَ كما يَرُوغُ الثَّعلبُ

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ والنفاقُ قبيح، وأقبحُ ما يكون فيمن ينتسب إلى العلم والدين، ولهذا قال الرسول ﷺ «وإن صام، وصلى، وزعم أنه مسلم». وهذا الذي أشار إليه الحديث الشريف، هو «نفاقُ العمل» لا نفاق الإيمان، أمّا نفاق الإيمان، فجرمُه أعظم وأكبر.

كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إذا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإذا حَدَّث كَذَبَ، وَإذا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإذا خَاصَمَ فَجَرَ» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٩٠ ـ وعن جابرٍ رضي اللَّه عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «لَوْ قَدْ جاءَ مالُ الْبَحْرَيْنِ، أَعْطَيْتُكَ هكَذا، وَهكَذا، وَهكَذا، فَلَمْ يَجِئْ مَالُ الْبَحْرَيْنِ، حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ، أَمَرَ أَبُو بَكْرٍ رضي اللَّه عنه فَنَادَى: مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رسول اللَّه ﷺ عِدَةٌ أَوْ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا!! فَأَتَيْتُهُ وَقُلتُ لَهُ: إنَّ النبي ﷺ قال لي كَذَا وَكَذَا، فَحَثَى لي حَثْيَةً، فَعَدَدْتُهَا، فَإذا هِيَ خَمْسُمَائَةٍ، فقال لي: خُذْ مِثْلَيْهَا» مُتَّفَقٌ عليه.

❁❁❁

بابٌ في المحافظة على مَا اعتاده من الخير

قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾ [النحل: ٩٢].

«وَالأَنْكَاثُ»: جَمْعُ نِكْثٍ، وَهُوَ الْغَزْلُ الْمَنْقُوضُ.

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦].

وقال تعالى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

٦٩١ ـ وعن عبد اللَّهِ بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: «يَا عَبْدَ اللَّه، لا تَكُنْ مِثْلَ فُلانٍ[1]، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ!» مُتَّفَقٌ عليه.

❁❁❁

(١) «لا تكنْ مثلَ فلانٍ» الرسول ﷺ يحذِّر «عبد اللَّه بن العاص» من التقصير في الطاعة والعبادة، ويوصيه بأن لا يكون مثل فلان من الناس، كان يتهجَّد في الليل، فترك التهجد، لجهله بعظم الأجر الذي يناله العابد في الليل، وقد أثنى اللَّه بذلك الثناء العاطر، على أصحاب النبي، الذين كانوا يحيون الليل بي العبادة والصلاة بقوله: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

بابٌ في استِحباب طيب الكلام وطلاقة الوَجه عند اللقاء

قال الله تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٦٩٢ ـ وعَنْ عَدِيِّ بن حَاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ[1] فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٩٣ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبيَّ ﷺ قال: «وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ» مُتَّفَقٌ عليه، وهو بعض حديث تقدم بطوله.

٦٩٤ ـ وعن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئاً، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلِيقٍ»[2] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

❁❁❁

بابٌ في استحباب بَيان الكلام وإيضاحه لِلمخاطب، وتكريره ليفهم إذا لم يفهم إلا بذلك

٦٩٥ ـ عن أنسٍ رضي الله عنه «أن النبي ﷺ كانَ إذا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ، أَعَادَهَا ثَلاثاً حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذا أَتَى عَلى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلاثاً» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

---

(١) «ولو بِشِقِّ تمرة» أي نصف تمرة.

(٢) «بوجهٍ طَليقٍ» أي تهلّل بالبشر والابتسام.

بهذا التوجيه النبويّ الكريم، يُوصِي النبي ﷺ أمته وأتباعه، أن يعاملوا إخوانهم، بكل رحابة صدر، وبشاشة وجه، فذلك خُلُق المسلم الصادق الكامل، الذي يحبُّ أن ينال رضوان الله، فبالكلمة الطيبة، تستقبل بها أخاك المؤمن، يكون لك بها عند الله أجرٌ عظيم، وبالابتسامةِ في وجهه تنالُ رضوانَ الله، فما أعظم دين الإسلام، دينَ المحبة والوئام!!

٦٩٦ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ كَلَامُ رسول اللَّهِ ﷺ كَلاماً فَصْلاً[١] يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ يَسْمَعُهُ» رَوَاهُ أَبو داود.

❁❁❁

بابٌ في إصغاء الجليس لحديث جَليسه الّذي لَيس بحرام، واستنصات العالِمِ والواعظ حاضِري مجلسه

٦٩٧ ـ عن جَرير بن عبدِ اللَّهِ رضي الله عنه قال: «قال لي رسول الله ﷺ في حَجَّةِ الْوِدَاعِ: اسْتَنْصِتِ النَّاسَ[٢]، ثُمَّ قال: لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»[٣] مُتَّفَقٌ عليه.

❁❁❁

بابٌ في الوعظ والاقتصاد فيه

قال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥].

٦٩٨ ـ عن أَبي وَائِلٍ «شَقِيقِ بن سَلَمَةَ» قال: «كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه يُذَكِّرُنَا في كُلِّ خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، لوددت أنك ذكّرْتنا كل يَوْم!! فقال: أَما إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذلكَ، أني أَكْرَهُ أَنْ أُمِلَّكُمْ، وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالمَوْعِظَةِ، كَمَا كَانَ رسول اللَّه ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا»[٤] مُتَّفَقٌ عليه. «يَتَخَوَّلُنَا»: يَتَعَهَّدُنَا.

---

(١) «كان كلامه فصلاً» أي بيّناً ظاهراً، يفهمه كل سامع، وما كان عليه السلام يتقعّر في كلامه، ولا يتحدث بوحشيّ الألفاظ، كما يفعل البعض، ليتظاهر بسَعَة العلم والمعرفة.

(٢) «استنصتِ الناسَ» أي تُزهم بالسكوت والإنصات.

(٣) «لا ترجعوا بعدي كفاراً» أي لا تعودوا كفاراً بعد أن أنقذكم الله من عادات الجاهلية، بالهداية لدين الإسلام، وذلك بالإقدام على القتل، فإن استحلال قتل المسلم كفر، يبوء فاعله بسخط الله، وعذابه الشديد، كما قال سبحانه: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَاباً عَظِيماً﴾.

(٤) «كان ﷺ يتخوّلنا بالموعظة» أي كان يتعهدنا بالموعظة، ويذكّرنا بين كل حين وحين، مخافة المَلَلِ منا، لأن النفس من طبعها المَلَل، إذا داوم التذكيرُ لها، وإن كان الحديثُ محبوباً لها، =

٦٩٩ ـ وعن أبي اليَقْظَان «عَمَّار بن يَاسر» رضي اللَّه عنهما قال: سَمِعْتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «إنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُل، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ، مَئِنَّةٌ مِنْ فقْهِهِ[١]، فَأَطِيلُوا الصَّلاةَ، وَأَقْصِروا الخُطْبَةَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ، «مَئِنَّةٌ» أَيْ: عَلَامَةٌ دَالَّةٌ عَلى فِقْهِهِ.

٧٠٠ ـ وعن «مُعَاوِيَةَ بن الحَكَم السُّلَمِي» رضي اللَّه عنه قال: «بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رسول اللَّه ﷺ، إذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ القَوْم فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّه، فَرَماني القَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ! فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاه[٢]! ما شَأْنُكُمْ تَنْظُرونَ إليَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلى أَفْخَاذِهِمْ! فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَني[٣]، لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صلى رسول اللَّه ﷺ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي[٤]، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّماً قَبْلَهُ وَلا بَعْدَهُ، أَحْسَنَ

= وقد ورد في رواية البخاري: «يتخولنا بالموعظة، كراهة السآمة علينا» أي لئلا ننفر.

قال في الفتح: ويُستفاد من الحديث، استحبابُ تركِ المداومة على التذكير والعملِ الصالح، خشيةَ الملل، وإن كانت المواظبةُ مطلوبة، ولكنْ يوماً بعديوم، فيكون يوم الترك لأجل الراحة، ليقبل على اليوم الثاني بنشاطٍ، وعَيِّ يوماً في الجمعة، ويختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، والضابطُ فيه: هو الحاجةُ مع مراعاة وجود النشاط. اهـ.

(١) «مَئِنَّةٌ فقهِ الرجل» تطويلُ الصلاة يوم الجمعة، وتقصيرُ خطبتها، علامةٌ دالةٌ واضحة على فقه الرجل، لأن المتفقِّه في الدين، يعلم أن صلاة الجمعة مقصودة لذاتها، والخطبةُ للتذكير، وهي تَبَعٌ لها، والقليل من الكلام يجدي، إذا كان خارجاً من القلب، وكما يقال: «إنَّ ما قلَّ وقَرَّ، خير مما كثُر وفَرَّ» أي ما قلَّ من الكلام واستقرَّ في القلب، خير من الكثير الذي يُنسي بعضُه بعضاً، والبلاغة في الإيجاز كما يقول العرب.

(٢) «واثكل أُمِّياه» أي فقدتني أمي، وفُجعتْ بموتي، لماذا تنظرون إليَّ هذه النظرات الغريبة؟

(٣) «فلما رأيتهم يُصمِّتونني» أي يريدون مني أن أسكت، سكتُّ عن الكلام.

(٤) «فبأبي هو وأمي» أي أفديه بأبي وبأمي، لحسن حديثه، وجميل نصحه.

هذا الحديث الشريف، درسٌ في التربية والتوجيه، لكل داعٍ مرشد، يريد هداية الناس إلى الطريق المستقيم:

هذا رجلٌ من الأعراب، كان بعيداً عن التفقه في الدين، لبعد مسكنه عن المدينة المنورة، يقدم مسجدَ الرسول ﷺ ليصلي فيه مع المصلِّين، ويقف في الصلاة، فيعطس رجلٌ بجواره، فيسارعُ إلى تشميته بقوله: «يرحمكم اللَّهُ» ـ وهو لا يدري أن الصلاة يُمنع فيها الكلامُ ـ وتتجاذبه أبصار المصلِّين بنظرات حادة، ليسكت، فتزيده هذه النظرات، إمعاناً في الكلام فيقول: ثكلتني أمي ماذا صنعت؟ ما شأنكم تنظرون إليَّ؟ ثم ينتبه فيعرف أنهم يطالبونه بالسكوت، فلما انتهت الصلاة، دعاه الرسول ﷺ وبكل لطف في التوجيه، ولين في الكلام، يعرِّفه الرسول ﷺ بخطئه دون أن يجرح مشاعره، أو يوبِّخه على ما جرى منه في الصلاة، وإنه لدرسٌ بليغ في التربية النبوية، وتوجيهٌ رشيد سديد، لجميع الدعاة=

تَعْلِيماً مِنْهُ، فَوَاللَّهِ ما كَهَرَني، ولا ضَرَبَني، وَلا شَتَمَني، وإنما قال: إنَّ هذِهِ الصَّلاةَ، لا يَصْلُحُ فِيهَا شَيءٌ مِنْ كَلامِ النَّاسِ، إنَّمَا هِيَ التَّسْبِيحُ والتَّكْبِيرُ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ» أو كما قال رسول اللَّه ﷺ «قلت: يا رسول اللَّه، إني حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، وَقَدْ جَاءَ اللَّه بِالإِسْلَامِ، وَإِنَّ مِنَّا رِجالاً يَأْتُونَ الْكُهَّانَ؟ قال: فلا تأتهم، قلت: ومنا رجالٌ يَتطيّرون؟ قال: ذاك شيءٌ يَجِدُونَهُ في صُدُورِهِمْ، فَلا يَصُدَّنَّهُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ، «الثُّكْلُ» المصِيبَةُ، والفجيعَةُ. «ما كَهَرَني» أي: ما نَهَرَني.

٧٠١ ـ وعن العِرْبَاضِ بن سَارِيَةَ رضي اللَّه عنه قال: «وَعَظَنَا رسول اللَّه ﷺ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُون» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَقَدْ سَبَقَ بِكَمَالِهِ في باب الأمْر بالْمُحَافَظَةِ عَلى السُّنَّةِ، وهو حديث حسنٌ صحيحٌ.

❁❁❁

بابٌ في الوقار والسكينة

قال اللَّه تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

٧٠٢ ـ وعن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: «مَا رَأَيْتُ رسول اللَّه ﷺ مُسْتَجْمِعاً قَطُّ ضَاحِكاً[1] حَتَّى تُرَى مِنْهُ لَهَوَاتُهُ، إنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ» مُتَّفَقٌ عليه. «اللَّهَوَات» جَمْع لَهَاةٍ، وَهِيَ: اللَّحْمَة الَّتي في أَقْصَى سَقْفِ الْفَمِ.

= والمرشدين، ليقتفوا أثر الهادي البشير، في أسلوبه، وحكمته، وطريق دعوته، ولهذا قال هذا الصحابي مثنياً على خُلُق الرسول ﷺ: ما رأيتُ قبلَه ولا بعده، معلِّماً أحسنَ تعليماً منه!! واللَّهِ ما نَهَرني، ولا ضربني، ولا شتمني، وإنما قال لي: هذه الصلاةُ لا يصلح فيها شيء من كلام الناس!! فما أحوج المسلمين اليوم ـ وبخاصة الدعاة منهم ـ إلى مثل هذا الأسلوب الرشيد، في النصح والإرشاد، والدعوة إلى اللَّه، بالحكمة والموعظة الحسنة!؟ وينبغي أن نعلم أن الكلام كان مباحاً في أول الأمر، فلما نزل قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ أُمروا بالسكوت.

(١) «ما رأيتُ الرسول مستجمعاً ضاحكاً» أي مبالغاً في الضحك، لأن كثرة الضحك تشير إلى الغفلة، وهي كما قال سيد الخلق تميت قلب الإنسان «ولا تكثر الضحكَ، فإن كثرة الضحك تميت القلب» رواه الترمذي، قال الشاعر:

ضَحِكْنا فكانَ الضحكُ منا سَفَاهَةً ... وحُقَّ لأربابِ البَرِيَّةِ أن يَبْكُوا

باب النّدب إلى إتيان الصّلاة والعِلم ونحوهما من العبادات، بالسكينة والوقار

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

٧٠٣ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَلا تَأْتُوهَا وَأَنْتُم تَسْعَوْنَ[1]، وَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَمْشُونَ، وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةَ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا» مُتَّفَقٌ عليه.

زاد مسلم في روايةٍ له: «فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذا كَانَ يَعمِدُ إِلى الصَّلاةِ فَهُوَ في صَلاة».

٧٠٤ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما «أَنَّهُ دَفَعَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ عَرَفَةَ، فَسَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ وَرَاءَهُ زَجْرًا شَدِيداً، وَضَرْبًا وَصَوْتًا للإِبِلِ، فَأَشَارَ بِسَوْطِهِ إِلَيْهِمْ، وقال: «أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ، فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِالإِيضَاعِ»[2] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وروى مسلم بعضه، «الْبِرُّ»: الطَّاعةُ. «وَالإِيضَاعُ» هُوَ: الإِسْرَاعُ.

❁❁❁

بابٌ في إكرام الضّيف

قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الذاريات: ٢٤ ـ ٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ[3] وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ

---

(١) «فلا تأتوها وأنتم تسعون» أي لا تأتوها وأنتم تركضون وتُسرعون في المشي «وأتوها بسكينة ووقار» أي بتُؤدةٍ وخشوع، مع غضّ البصر، وخفض الصوت، فإن أحدَكم لا يزال في الصلاة ما دامَ يقصدها.

(٢) «إن البرّ ليس بالإيضاع» أي ليست العبادة والطاعة، بالإسراع في المشي، أو الإسراع بالإبل، إنما هو بالخضوع والخشوع لرب العالمين، والإسراع أو الركضُ يُذهِبُ هيبة الرجل، لأنه من عمل الأطفال.

(٣) ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ التعبير بقوله: ﴿يُهْرَعُونَ﴾ يشير إلى السرعة والعجلة، لنيل مطلوبهم الدنيء، والآية نزلت في قوم لوط الأشرار الفجار، فإنهم لما سمعوا أن ضيوفاً حلُّوا بدار لوط، أسرعوا نحوهم يريدون أن يفجروا بهم بطريق اللواطة، وما دروا أنهم ـ

﴿هَٰؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾[هود: ٧٨].

٧٠٥ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»[1] مُتَّفَقٌ عليه.

٧٠٦ ـ وعن أبي شُرَيْح «خُوَيْلِدِ بن عمرو» الخُزَاعيِّ رضي الله عنه قال: سَمِعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ كَانَ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَاليَوْم الآخِرِ، فَلْيُكرِم ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ[2] قالوا: وما جَائِزَتُهُ يا رسول الله؟ قال: يَومُهُ وَلَيْلَتُهُ، والضِّيَافَةُ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ، فما كان وَرَاءَ ذلكَ فهو صَدَقَة عليه» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ لمسلم: «لا يَحِلُّ لِمُسْلِم، أَن يُقِيمَ عِنْدَ أَخِيهِ حتى يُؤْثِمَهُ، قالوا: يا رسول الله، وَكَيْفَ يُؤْثِمُهُ؟ قال: يُقِيمُ عِنْدَهُ وَلا شَيْءَ لَهُ يَقْرِيهِ بِهِ».

❁❁❁

= ملائكة جاءوا بصورة شباب مُرْد، حسان الوجوه، وما كان نبيُّ الله «لوط» يعلم أنهم ملائكة، حتى أخبروه بذلك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ قال المفسرون: خرج عليهم جبريل فضرب أعينهم بطرف جناحه، فانطمست أعينهم وعمُوا، ثم قلب الله بهم ديارهم، فجعل عاليها سافلها.

(١) «فَلْيَقُلْ خَيْرًا أو لِيَصْمُتْ» توجيهٌ كريم من نبيٍ رحيم، لأتباعه المؤمنين، أن يقول المسلم ما ينفع من كلام الخير، والقول الطيب فيغنم، أو يسكت فيسلم، قال الشاعر:

احْفَظْ لِسَانَكَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ ... لا يَلْدَغَنَّكَ إِنَّهُ ثُعْبَانُ

كَمْ فِي المَقَابِرِ مِن قَتِيلِ لِسَانِهِ ... كَانَتْ تَهَابُ لِقَاءَهُ الشُّجْعَانُ

(٢) «فَلْيُكرِمْ ضَيْفَه جائِزَتَه» أي ليكرمْ من نزل عنده ضيفاً، وجائزتُه أن يضيفَه يوماً وليلةً، وفي رواية البخاري ما يوضّح هذا، ولفظُه: «فليكرم ضيفه، جائزتُه يومٌ وليلةٌ» ويمكن أن تستمر الضيافة إلى ثلاثة أيام، فما زاد على ذلك فهو إثقال على المضيف، ولهذا أورد المصنّف روايةَ مسلم «ولا يحلُّ لمسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمه» أي يوقعه في الإثم، بأن لا يكون عنده ما يضيفُه به، فيحتاج إلى أن يستدين حتى يطعم هذا الثقيل، إذا مكث عنده شهراً أو أكثر، وربما لا يستطيع وفاء الدين فيقع في الإثم، ذكر القرطبي بعض أبيات عن الثقلاء منها:

وثَقِيلٍ أَشَدُّ مِن ثِقْلِ المَوْتِ ... وَمِنَ شِدَّةِ العَذَابِ الأَلِيمِ

لو عَصَتْ رِبَّهَا الجَحِيمُ لَمَا ... كَانَ سِوَاهُ عُقُوبَةً لِلْجَحِيمِ

باب استحباب التبشير والتهنئة بالخير

قال الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

وقال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ﴾ [هود: ٦٩].

وقال تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١].

وقال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ﴾ [آل عمران: ٤٥].

والآيات في الباب كثيرة معلومة.

وأما الأحاديث فكثيرة جدًّا، وهي مشهورة في الصحيح، منها:

٧٠٧ ـ عن أبي إبراهيم «عَبدِ اللَّه بن أبي أَوْفَى» رضي اللَّه عنه «أَنَّ رسول اللَّه ﷺ بَشَّرَ خَدِيجَةَ، رضي اللَّه عنها، بِبَيْتٍ في الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ[1]، لا صَخَبَ فِيهِ وَلا نَصَبَ» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «ببيت في الجنة من قصب» ما أعظمها من نعمة وكرامة، للسيدة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها؟ جبريل يأتي إلى رسول الله ﷺ فيبشرها بنصر عظيم في الجنة، هو من اللؤلؤ المجوَّف، وهذا القصر، لا عجيج فيه ولا ضجيج، ولا مشقة فيه ولا تعب، وما كانت هذه الكرامة لها، إلَّا لأنها واست الرسول ﷺ بنفسها ومالها، وصبرت على البأساء والضراء، فأكرمها الله بهذا القصر الفخم، في دار النعيم.. روى الطبراني عن فاطمة رضي الله عنها أنها قالت: «قلتُ يا رسول الله: أين أمي؟ قال: في بيتٍ من قَصَب!! قلتُ: أمن هذا القَصَب؟ ـ أي المعروف عند الناس ـ قال: لا، من القصب المنظوم ـ أي المسبوك ـ بالدُّرّ، واللؤلؤ، والياقوت» وإنما قال ﷺ عن القصر: «لا صخب فيه ولا نصب» لأن التعب هنا في الدنيا لأنها دار تكليف، أما الآخرة فدار تشريف، ولهذا قال سبحانه: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

«الْقَصَبُ» هُنَا: اللُّؤْلُؤُ الْمُجَوَّفُ. «وَالصَّخَبُ»: الصِّيَاحُ وَاللَّغَطُ. «وَالنَّصَبُ»: التَّعَبُ.

٧٠٨ ـ وعن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه «أَنَّهُ تَوَضَّأَ في، بَيْتِهِ، ثُمَّ خَرَجَ فَقال: لأَلْزَمَنَّ رسول اللَّه ﷺ وَلأَكُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هذا، فَجَاءَ الْمَسْجِدَ، فَسَأَلَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: وَجَّهَ ههُنَا، قال: فَخَرَجْتُ عَلى أَثَرِهِ[1] أَسْأَلُ عَنْهُ، حَتَّى دَخَلَ بِئْرَ أَرِيسٍ، فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ، وَبَابُها مِنْ جَرِيدٍ، حَتَّى قَضَى رسول اللَّه ﷺ حَاجَتَهُ وَتَوَضَّأَ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ جَلَسَ عَلى بِئْرِ أَرِيسٍ، وتَوَسَّطَ قُفَّهَا[2]، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ، وَدَلَّاهُمَا في الْبِئْرِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ، فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ، فَقُلْتُ: لأَكُونَنَّ بَوَّابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْيَوْمَ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه فَدَفَعَ الْبَابَ فَقُلْتُ: مَنْ هذَا؟ فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ!! فَقُلْتُ: عَلى رِسْلِكَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ هذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى قُلْتُ لأَبِي بَكْرٍ: ادْخُلْ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُبَشِّرُكَ بِالْجَنَّةِ!! فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى جَلَسَ عَنْ يَمِينِ النَّبِيِّ ﷺ مَعَهُ في الْقُفِّ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ في الْبِئْرِ، كَما صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ، وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِي يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقُنِي، فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِفُلَانٍ ـ يُرِيدُ أَخَاهُ ـ خَيْرًا، يَأْتِ بِهِ[3]، فَإِذَا إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ!! فَقُلْتُ: عَلى رِسْلِكَ، ثُمَّ جِئْتُ إِلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، وقُلْتُ: هذَا عُمَرُ يَسْتَأْذِنُ؟ فَقَالَ: ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ، فَجِئْتُ عُمَرَ،

---

(١) «وجّه ههنا فخرجت على أثره» أي توجّه من هذا الطريق، فتبعته فوراً أريد أن ألحق به، فدخل ﷺ بستان أريس وهو بالقُرب من قُبا.

(٢) «وتوسّط قُفّها» أي جلس وسط حائط البئر ومدّ ساقيه في البئر، ليستبرد قليلاً، والقُفُّ: هو ما يُبنى حول البئر كالجدار القصير، ويسمى «الركيّة» بعد هذا جاء أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان يستأذنون في الدخول على رسول الله ﷺ فأذن لهم، وبشّر كل واحدٍ منهم بالجنة، أمّا عثمان فقد أخبر أنه يُصاب ببلوى عظيمة، وهذا من معجزاته ﷺ حيث أخبر بأمر غيبيّ، وهو قتله شهيداً، وقد حدث كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ.

(٣) «إن يرد الله بفلان خيراً يأت به» يريد أخاه «أبا بُردة» تمنّى له أن يحضر بين يدي المصطفى ﷺ، لعلّه يُبشّر بالجنة كما بُشّر من قبله.

فَقُلْتُ: أَذِنَ وَيُبَشِّرُكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالجَنَّةِ!! فَدَخَلَ فَجَلَسَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في القُفِّ عَنْ يَسَارِهِ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ في البِئْرِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ اللَّه بِفُلانٍ خَيْراً - يَعْنِي أَخَاهُ - يَأْتِ بِهِ، فَجَاءَ إِنْسَانٌ فَحَرَّكَ البَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هذَا؟ فَقَالَ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، فَقُلْتُ: عَلى رِسْلِكَ، وَجِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ مَعَ بَلْوى تُصِيبُهُ، فَجِئْتُ فَقُلْتُ: ادْخُلْ وَيُبَشِّرُكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالجَنَّةِ، مَعَ بَلْوى تُصِيبُكَ، فَدَخَلَ فَوَجَدَ القُفَّ قَدْ مُلِىءَ، فَجَلَسَ وِجَاهَهُمْ مِنَ الشِّقِّ الآخَرِ، قَالَ سَعِيدُ بْنُ المُسَيَّبِ: فَأَوَّلْتُهَا قُبُورَهُمْ»[1] مُتَّفَقٌ عليه.

وزاد في رواية: «وَأَمَرَنِي رسولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ البَابِ، وَفِيهَا: أَنَّ عُثْمَانَ حِينَ بَشَّرَهُ حَمِدَ اللَّهَ تَعَالى، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ المُسْتَعَانُ». قوله: «وَجْهَ» أَيْ: تَوَجُّهَ. «والقُفُّ»: هُوَ المَبْنِيُّ حَوْلَ البِئْرِ. «عَلى رِسْلِكَ» بكسر الراء: أَيْ: ارْفُقْ وتمهَّلْ.

٧٠٩ ـ وعنْ أبي هريرة رضيَ اللَّهُ عنهُ قال: «كُنَّا قُعُوداً حَوْلَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضيَ اللَّهُ عنهما في نَفَرٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا، وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا[2] وَفَزِعْنَا فَقُمْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، حَتى أَتَيْتُ حَائِطاً لِلأَنْصَارِ[3]، لِبَنِي النَّجَّارِ، فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ بَاباً، فَلَمْ أَجِدْ، فَإِذَا رَبِيعٌ يَدْخُلُ في جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِئْرٍ خَارِجَةٍ - وَالرَّبِيعُ: الجَدْوَلُ الصَّغِيرُ - فَاحْتَفَزْتُ، فَدَخَلْتُ عَلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَبُو هُرَيْرَةَ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ: «مَا شَأْنُكَ» قلتُ: كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فَقُمْتَ، فَأَبْطَأْتَ عَلَيْنَا، فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا، فَفَزِعْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَأَتَيْتُ هَذَا الحَائِطَ، فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ[4]، وَهَؤُلَاءِ

---

(١) «فأولتها قبورهم» أي تأوّل سعيدُ بن المسيَّب بالفراسة أن هذه قبورهم، ومراده أن اجتماع الرسول بصاحبيه «أبي بكر» عن يمينه، و«عمر» عن شماله أنهما سيدفنان بجواره، وأما «عثمان» فلمّا لم يجد مكاناً يمدُّ رجليه في البئر، وجلس أمامهم، أوّلها بأنه لن يُدفن معهم، فقد دُفن في البقيع أمامهم، وكان الأمر كذلك، ويجوز تأويل حال اليقظة بحال النوم، وذلك بالفراسة، وفي الحديث «اتقوا فِراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله».

(٢) «خشينا أن يُقتطع دوننا» أي خفنا على رسول الله ﷺ أن يُصاب بمكروه من عدوّ، أو يهودي خبيث يناله الأذى منه.

(٣) «أتيتُ حائطاً للأنصار» أي بستاناً فيه شجر النخيل.

(٤) «فاحتفزتُ كما يحتفز الثعلبُ» أي ضمَّ نفسه إليه ليستطيع الدخول في هذا الثقب الضيِّق، ـ

النَّاسُ وَرَائِي!! فَقَالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ: وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ، فَقَالَ: اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هذا الحائِطِ، يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَه إِلَّا اللَّهُ، مُسْتَيْقِناً بها قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بالجَنَّةِ» وَذَكَرَ الحَدِيثَ بطُولِهِ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

«الرَّبِيعُ»: النَّهْرُ الصَّغِيرُ وَهُوَ الجَدْوَلُ، كَمَا فَسَّرَهُ في الحَدِيثِ، وقولُهُ: «اخْتَفَزْتُ» رويَ بالرَّاءِ وبالزَّايِ، ومعناهُ بالزاي: تَضامَمْتُ وَتَصاغَرْتُ حَتَّى أَمْكَنَنِي الدُّخُولُ.

٧١٠ ـ وعَنْ ابن شُمَاسَةَ قالَ: «حَضَرْنَا «عَمْرَو بنَ العَاصِ» رضيَ اللَّهُ عنه، وَهُوَ في سِيَاقَةِ المَوْتِ[١] فَبَكَى طَوِيلاً، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إلى الجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ، أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَذَا؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَذَا، فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ[٢] «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ»، إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلى أَطْبَاقِ ثَلاث[٣]: لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ

= كما يفعل الثعلب عند الدخول إلى الحجر، **وفي هذا الحديث** بشارة عظيمة، لأهل التوحيد والإيمان، فإن من عاش مؤمناً، ومات مؤمناً، بشرط أن يكون ذلك تابعاً من القلب، فإن مصيره إلى الجنة دار المتقين، ولا يُخلَّد مؤمن في جهنم. . وللحديث تتمة كما رواه الإمام مسلم في صحيحه وهي: «قال أبو هريرة: فكان أول من لقيتُ عمر، فقال: ما هاتان النعلان يا أبا هريرة؟ فقلتُ: هاتان نعلا رسول الله ﷺ بعثني بهما، من لقيتُ يشهد «أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبُه، بشَّرته بالجنة!! فضرب عمر بيده بين ثَدْيَيَّ، فخررت لاستي ـ أي سقطت على مقعدي ـ وقال: ارجع يا أبا هريرة، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأجهشت بكاءً ـ أي رفعت صوتي باكياً ـ فقال لي رسول الله ﷺ: مالكَ يا أبا هريرة؟ فأخبرتُه الخبر، وركبني عمر على أثري! فقال له الرسول ﷺ يا عمر: ما حَمَلك على ما فعلتَ؟ قال يا رسول الله: بأبي أنتَ وأمي ـ أي أفديك بهما ـ أبعثتَ أبا هريرة بنعليك، من لقيه يشهد أن لا إله إلا الله، مستيقناً بها قلبُه، بشَّره بالجنة؟ قال: نعم، قال: فلا تفعل، فإني أخشى أن يتّكل الناس عليها، فخلِّهم يعملون!! فقال رسول الله: خلِّهم».

قال العلماء: ليس فعلُ عمر، ومراجعتُه النبيَّ ﷺ اعتراضاً عليه، وردّاً لأمره، إذ ليس في إرسالِ النبي ﷺ لأبي هريرة، إلا تطييبُ قلوب المؤمنين وتبشيرهم، وقد رأى عمر أن كتم هذا أصلح لهم، لئلا يتّكلوا على هذه البشارة، ولمّا عرضه على النبي ﷺ صوّب رأيه، فلذلك قال له: «فخلِّهم» أي اتركهم دون إخبارٍ لهم بالبشارة.

(١) «في سياقة الموت» أي حال حضور الموت.

(٢) «إن أفضل ما نعدُّ» أي أفضل ما نتّخذه ذخراً لآخرتنا، في مثل هذا الموقف «شهادة أن لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله».

(٣) «على أطباقِ ثلاث» أي كنت على أحوال ثلاث، مرّت عليَّ في حياتي.

بُغْضاً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنِّي، وَلا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَن أَكُونَ قَدِ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُهُ، فَلَوْمُتُّ عَلَى تِلْكَ الحالِ، لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الإِسْلَامَ في قَلْبِي، أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلأُبَايِعْكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ فَقَبَضْتُ يَدِي، فقالَ: ما لكَ يَا عَمرو؟ قلت: أَرَدْتُ أَن أَشْتَرِطَ قالَ: تَشْتَرِطُ مَاذَا؟» قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لي!! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلَامَ يَهْدِمُ ما كَانَ قَبْلَهُ، وَأَن الهِجرَةَ تهدِمُ ما كان قَبْلَها، وَأَنَّ الحَجَّ يَهدِمُ ما كَانَ قَبْلَهُ[1]؟ وما كان أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رسول اللَّه ﷺ، وَلا أَجَلَّ في عَيني مِنْهُ، ومَا كُنْتُ أُطِيقُ أَن أَملأَ عَيني مِنه إجلالاً له، ولو سُئِلتُ أَن أَصِفَهُ ما أَطَقْتُ، لأَنِّي لَم أَكُن أَملأُ عَيني مِنه، ولو مُتُّ على تِلكَ الحَال، لَرَجَوتُ أَن أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، ثم وَلِينَا أَشْيَاءَ ما أَدرِي ما حَالي فِيها؟ فَإِذا أَنا مُتُّ، فلا تَصحَبْنِي نَائحَةٌ، ولا نَارٌ، فإذا دَفَنتمُوني، فَشُنُّوا عليَّ التُّرابَ شَنّاً، ثم أَقِيمُوا حَولَ قَبري، قَدْرَ ما تُنحَرُ جَزورٌ، وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا، حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وأَنظُرَ ما أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ ربي[2]» رَوَاهُ مُسْلِمٌ، قوله: «شُنُّوا» أَيْ: صُبُّوهُ قليلاً قَلِيلاً، واللَّه أعلم.

❁❁❁

(١) «الإسلام يهدم ما قبله» أي يُسقط ويمحو جميع الذنوب، ويمحو أثرها، حتى أكبر الذنوب الإشراك، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾.

(٢) «حتى أراجع رسل ربي» أي الملائكة التي تسأل الميت في القبر، عن دينه، وربه، وعن محمد خاتم النبيين، والمراد به سؤال القبر، هذا الحديث الشريف، فيه فوائد جليلة، نذكر بعضها:

١ ـ فيه بيانُ منزلة الهجرة، والحج، والإسلام، فإنها تهدم الذنوب.

٢ ـ وفيه استحباب تنبيه المحتضَر على إحسان ظنه بالله ليموت عليه.

٣ ـ وفيه تعظيم الصحابة لرسول الله ﷺ وتوقيره وإجلاله، حتى إنهم ما كانوا يملأون عيونهم منه إجلالاً له.

٤ ـ وفيه استحبابُ صبِّ التراب على القبر عند الانتهاء من دفنه.

٥ ـ وفيه إثبات فتنة القبر، وسؤال الملكين له، وقد قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ روى البخاري ومسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المسلمُ إذا سُئل في القبر، يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا..﴾ الآية».

٦ ـ وفيه استحباب المكث عند القبر، بعد الدفن ليستأنس بهم الميت، كما جاء في قوله «ثم أقيموا حول قبري..» الخ.

٧ ـ وفيه أن الميت يسمع كلام المشيِّعين، ويسمع قرع نعالهم، كما ثبت في الصحيح «إن الميت إذا وضع في قبره، وتولَّى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم..» رواه البخاري.

بابٌ في وَداع الصّاحب وَوَصيّته عند فراقه لسفرٍ وغيره والدعاء له وطلب الدعاء منه

قالَ اللّهُ تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ [١] ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: ١٣٢ ـ ١٣٣].

٧١٠م ـ وأما الأحاديث، فمنها حَديثُ «زيدِ بْنِ أَرْقَمَ» رضي اللّه عنه قال: «قَامَ رسول اللّه ﷺ فِينَا خَطِيباً، فَحَمِدَ اللّه، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قال: أَمَّا بَعْدُ، أَلا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلهمَا: كِتَابُ اللّهِ، فِيهِ الهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللّه، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحثَّ عَلى كِتَابِ اللّهِ، وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قال: «وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللّه في أَهْلِ بَيْتِي»[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَقَدْ سَبَقَ بِطُولِهِ.

٧١١ ـ وعن أبي سُلَيْمَانَ «مَالِكِ بْنِ الحُوَيْرِثِ» رضي اللّه عنه قال: «أَتَيْنَا رسولَ اللّه ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ[٣]، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وكانَ رسولُ اللّه ﷺ رَحِيماً رَفِيقاً، فَظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَقْنَا أَهْلَنَا[٤]، فَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا مِنْ أَهْلِنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، فقال: ارْجِعُوا إِلى أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُم وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا صَلاةَ كَذَا في حِينِ كَذَا، وَصَلُّوا كَذَا في حِينِ كَذَا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ أي دوموا على الإسلام، واستمسكوا به، حتى يأتيكم الموت وأنتم مسلمون، وهذه الآية ردٌّ على اليهود، حيث قالوا للنبي ﷺ: ألستَ تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية؟ فنزل قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ..﴾ الآية.

(٢) سبق هذا الحديث مع شرحه رقم (٣٤٦) باب إكرام أهل بيت الرسول ﷺ.

(٣) «أتينا رسول اللّه ونحن شَبَبَةٌ» أي جئنا إلى الرسول ﷺ في وفدٍ، ونحن شباب متقاربون في السن، لنتعلم أحكام ديننا من رسول اللّه ﷺ.

(٤) «اشتقنا أهلنا» أي عرف ﷺ أننا قد اشتقنا الرجوع إلى أهلنا، فأمرنا بالرجوع، وأوصانا بأن نعلّم أهلنا ما تعلمناه، ونأمرهم بالصلاة في أوقاتها، وقال لهم: «صلّوا كما رأيتموني أصلّي».

زادَ البخاري في روايةٍ له: «وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي». قوله: «رَحِيماً رَفِيقاً»[١] رويَ بفاءٍ وقافٍ، وروِيَ بقافينِ.

٧١٢ ـ وعن عُمَرَ بْنِ الخطَّاب رضي اللَّهُ قال: اسْتَأْذَنْتُ النَّبيَّ ﷺ في الْعُمْرَةِ، فَأَذِنَ، وقال: «لا تَنْسَنَا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ»، فقالَ كَلِمَةً مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لي بِهَا الدُّنْيَا»[٢].

وفي رواية قال: «أَشْرِكْنَا يَا أُخَيَّ في دُعَائِكَ» رَوَاهُ أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

٧١٣ ـ وعن سالم بْنِ عَبْدِ اللَّه بن عُمَرَ «أَنَّ عَبدَ اللَّهِ بن عُمَرَ رضي اللَّه عنهما، كانَ يَقُولُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ سَفَراً: ادْنُ مِنِّي حَتَّى أُوَدِّعَكَ، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ يُوَدِّعُنَا!! فيقُولُ: «أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ»[٣] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ، وقال: حديث حسن صحيح.

٧١٤ ـ وعن عبدِ اللَّهِ بن يَزِيدَ الخَطْمِيِّ الصَّحَابِيِّ رضي اللَّه عنه قالَ: «كَانَ رسولُ اللَّه ﷺ إذا أَرَادَ أَنْ يُوَدِّعَ الجَيْشَ قَالَ: أَسْتَوْدِعُ اللَّه دِينَكُمْ، وَأَمَانَتَكُمْ، وَخَوَاتِيمَ أَعْمَالِكُمْ» حديث صحيح، رَوَاهُ أبو داود وغيره بإسناد صحيح.

٧١٥ ـ وعن أنسٍ رضي اللَّه عنه قال: «جَاءَ رَجُلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رَسُولَ اللَّه، إني أُرِيدُ سَفَراً، فَزَوِّدْنِي، فَقَالَ: زَوَّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى، قال: زِدْنِي،

---

(١) «وكان رحيماً رفيقاً» أي كان ﷺ رحيماً بنا، مشفقاً على أمته كقوله سبحانه: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

(٢) حديث عمر سبق مع شرحه رقم (٣٧٣) باب زيارة أهل الخير. وفي هذا الحديث بيان فضل عُمر رضي اللَّه عنه، ورفعة قدره، وأنه ممَّن يُجاب دعاؤه، وفيه مزيد تواضعه ﷺ، والحثُّ على سؤال الدعاء من عامة المسلمين، وإن كان الطالبُ أشرف ممن طلب منه، وقد وقعت هذه الكلمة من الرسول ﷺ في قلب عمر موقعاً عظيماً، حتى كانت أغلى عنده من الدنيا وما فيها.

(٣) هذه من السنن الشرعية في وداع المسافر، علَّمها الرسول ﷺ لأصحابه، وفعلها بنفسه، فكان إذا ودَّع مسافراً يقول له: «أستودعُ اللَّه دينَك، وأمانتَك، وخواتيم عملك» ومعناه: أرجو أن يحفظ اللَّهُ عليك الدين والإيمان، ويحفظ ما ائتمنك عليه من التكاليف الشرعية، والحقوق الإنسانية، ولا يُضيع عملك الصالح، الذي هو زادك إلى الآخرة، وما أجمل هذا الدعاء الجامع، الذي كان يودِّع به الرسولُ إخوانه، فيقول له: «زوَّدك اللَّه التقوى، وغفَر ذنبَك، ويسَّر لك الخيرَ حيثما كنتَ»!! فيستحبُّ أن يجمع المسلم بين الدعاءين.

قال: وَغَفَرَ ذَنْبَكَ، قال: زِدْنِي، قال: وَيَسَّرَ لَكَ الخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

بابٌ في الاستِخارة والمشاورة

قال الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]. أي: يَتَشَاوَرُونَ بَيْنَهُمْ فِيهِ.

٧١٦ ـ عن جَابِرٍ رضي الله عنه قال: «كَانَ رسولُ اللَّه ﷺ يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ في الأُمُورِ كُلِّهَا[1]، كالسُّورَةِ مِنَ القُرْآنِ، يَقُولُ: إذا هَمَّ أَحَدُكُمْ بالأمر، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثم لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فإنَّكَ تَقْدِرُ وَلا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأمرَ خَيْرٌ لي في دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فاقْدُرْهُ لي وَيَسِّرْهُ لي، ثُمَّ بَارِكْ لي فِيهِ، وَإِن كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هذَا الأَمْرَ، شَرٌّ لي في دِينِي، وَمَعَاشِي، وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أو قال: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِيَ الخَيْرَ حَيْثُ كانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ، قال: ويسمِّي حاجته» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

❁❁❁

بابٌ في استحباب الذّهاب إلى العيد، وَعيادة المريض، والحج والغزو، والجنازة ونحوها من طريق، والرجوع من طريق آخر، لتكثير مواضع العبادة

٧١٧ ـ عن جابرٍ رضيَ اللَّهُ عنه قال: «كانَ النبيُّ ﷺ إذا كَانَ يَوْمُ عِيدٍ خَالَفَ الطَّرِيقَ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

---

(١) «يُعلِّمنا الاستخارة في الأمور» الاستخارة: طلبُ معرفة الخير للإنسان، ودفع الشر عنه، فالمؤمنُ يستعين بربه بالصلاة، والدعاء، والتضرع، أن يُسهِّل له الخير، وييسره له، وهي من السنن المؤكدة، وقد علَّم الرسول ﷺ صحابه طريقتها، وهي أن يصلي ركعتين نفلاً، ثم يدعو بهذا الدعاء «اللَّهم إني أستخيرك بعلمك..» إلى آخر الدعاء المذكور، ويُسمِّي حاجتَه من النكاح، أو السفر، أو الشركة مع فلان، أو غير ذلك، فإذا انشرح صدره للأمر، فهو علامة الخير والرضى، فيمضي فيما عزم عليه، وإن انقبض تَرَكَ ذلك الأمر.

قوله: «خَالَفَ الطَّرِيقَ» يعني: ذَهَبَ في طَرِيقٍ، وَرَجَعَ في طَرِيقٍ آخَرَ.

٧١٨ ـ وعنِ ابنِ عُمَرَ رضيَ اللَّهُ عنهما، أن رسولَ اللَّه ﷺ «كانَ يَخْرُجُ مِنْ طَرِيقِ الشَّجَرَةِ، وَيَدْخُلُ مِنْ طَرِيقِ المُعَرَّسِ، وَإذا دَخَلَ مَكَّةَ دَخَلَ مِنَ الثَّنِيَّةِ العُلْيَا، وَيَخْرُجُ مِنَ الثَّنِيَّةِ السُّفْلَى» مُتَّفَقٌ عليه.

❁❁❁

بابٌ في استِحباب تقديم اليمين في كلّ ما هوَ من باب التكريم، كالوضوءِ، وَالغُسْلِ، والتَّيَمُّم، وَلُبْس الثَّوبِ، والنَّعْلِ، والخُفِّ، والسَّرَاوِيلِ، ودخُولِ المسجِدِ، والسِّوَاكِ، والاكْتِحَالِ، وتقليم الأَظْفَارِ، وَقَصِّ الشَّارِبِ وَنَتْفِ الإبْطِ، وَحَلقِ الرَّأْسِ، والسلام من الصلاةِ، والأكلِ والشربِ، وَالمُصَافَحَةِ، واستِلامِ الحَجَرِ الأسْوَدِ، والخروج مِنَ الخَلاءِ، وَالأَخذِ والعَطَاءِ، وغيرِ ذلك ممَّا هو في معناهُ. ويُستَحَبُّ تقديم اليسار في ضِدِّ ذلكَ، كالامْتِخَاطِ والبُصَاقِ عن اليسارِ، ودخولِ الخَلاءِ، والخروجِ مِنَ المسجِدِ، وَخَلْعِ الخُفِّ والنَّعْلِ، والسراويل، والثوب، والاستِنْجَاءِ، وفِعلِ المُستَقْذَراتِ وأشباه ذلك

قال اللَّه تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩].

وقال تعالى: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾﴾ [الواقعة: ٨ ـ ٩].

٧١٩ ـ وعن عائشةَ رضيَ اللَّه عنها قالَتْ: «كَانَ رسولُ اللَّه ﷺ يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ في شَأْنِهِ كُلِّه[1]: في طُهُورِهِ، وَتَرَجُّلِهِ، وَتَنَعُّلِهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «كان يعجبُه التيمُّنَ» أي كان ﷺ يحبُّ استعمال اليمين في جميع أموره، في الطعام، والشراب، والوضوء، والترجُّل أي تسريح شعر الرأس، والتنعل أي لبسَ الحذاء في رجله، فكان يبدأ باليمنى من كل شيء في الأمور المكرّمة، لأن اليمين فيها التفاؤل باليُمْن، =

٧٢٠ ـ وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنها قالتْ: «كانَتْ يَدُ رسول اللَّه ﷺ، اليُمنى لِطُهُورِهِ وَطَعَامِهِ، وَكَانَتِ اليُسْرَى، لِخَلائِهِ وَمَا كَانَ مِنْ أَذًى» حديث صحيح، رَوَاهُ أبو داود وغيره بإسنادٍ صحيح.

٧٢١ ـ وعن أُمِّ عَطِيَّةَ رضيَ اللَّه عنها «أن النبيَّ ﷺ قالَ لَهُنَّ في غَسْلِ ابْنَتِهِ زَيْنَبَ رضي اللَّه عنها: ابْدَأْنَ بِمَيَامِنِهَا، وَمَوَاضِعِ الوُضُوءِ مِنْهَا» مُتَّفَقٌ عليه.

٧٢٢ ـ وعن أبي هُريرة رضيَ اللَّه عنه أن رسولَ اللَّه ﷺ قال: «إذا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَبْدَأْ بِاليُمْنى، وإذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشِّمَالِ، لِتَكُنِ اليُمْنَى أَوَّلَهُمَا تُنْعَلُ، وَآخِرَهُمَا تُنْزَعُ» مُتَّفَقٌ عليه.

٧٢٣ ـ وعن حَفْصَةَ رضيَ اللَّه عنها «أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ كان يَجْعَلُ يَمِينَهُ، لِطَعَامِهِ، وَشَرَابِهِ، وَثِيَابِهِ، وَيَجْعَلُ يَسَارَهُ، لِمَا سِوَى ذلكَ» رَوَاهُ أبو داود وغيره.

٧٢٤ ـ وعن أبي هُريرة رضي اللَّه عنه، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إذا لَبِسْتُمْ، وَإذا تَوَضَّأْتُمْ، فَابْدَؤُوا بِأَيَامِنِكُمْ» حديث صحيح، رَوَاهُ أبو داود والتِّرمِذِيُّ بإسناد صحيح.

٧٢٥ ـ وعن أنس رضي اللَّه عنه «أن رسولَ اللَّه ﷺ أتى مِنًى: فَأَتَى الجَمْرَةَ فَرَمَاهَا، ثُمَّ أَتَى مَنْزِلَهُ بِمِنًى، وَنَحَرَ، ثُمَّ قال لِلحَلَّاقِ «خُذْ» وَأَشَارَ إلى جَانِبِهِ الأَيْمَنِ، ثُمَّ الأَيْسَرِ، ثُمَّ جَعَلَ يُعْطِيهِ النَّاسَ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية: «لَمَّا رَمَى الجَمْرَةَ[1]، ذَبَحَ نُسُكَهُ وَحَلَقَ: نَاوَلَ الحَلَّاقَ شِقَّهُ

= بخلاف الشمال التي فيها التشاؤم، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾ والقاعدةُ في هذا الموضوع: أن كلّ ما كان من باب التكريم، فيستحبُّ فعلُه باليمين، وما كان من باب الإهانة، فالاستحبابُ فيه أن يكون بالشمال، لحديث «كانت يدُ رسولِ اللَّه ﷺ لطهوره ـ أي وضوئه ـ وطعامه، وكانت اليسرى لخلائه، وما كان من أذى» رواه أبو داود.

(١) حديث «لمَّا رمَى الجمرةَ نَحَرَ نُسُكَه» قال النووي في شرح مسلم: هذا الحديث فيه فوائد كثيرة:

١ ـ فيها بيان السنة في أعمال الحج، وهي رميُ جمرة العقبة أولاً، ثم نحرُ الهَدْي، ثم الحلقُ، ثم طواف الإفاضة. =

الأَيْمَنَ فَحَلَقَهُ، ثُمَّ دَعَا أَبَا طَلْحَةَ الأَنْصَارِيَّ رضي اللَّه عنه، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، ثُمَّ نَاوَلَهُ الشِّقَّ الأَيْسَرَ فقال: احْلِقْ، فَحَلَقَهُ فَأَعْطَاهُ أَبَا طَلْحَةَ، فقال: اقسِمْهُ بَيْنَ النَّاسِ».

❁❁❁

= ٢ ـ ومنها أن يكون النحرُ بمنى، ويجوز حيث شاء من الحرم.
٣ ـ ومنها أن الحلقَ نسكٌ ـ أي عبادة ـ ويستحب فيه البداءةُ بالأيمن.
٤ ـ ومنها التبركُ بشَعْرِه ﷺ، وجوازُ اقتنائه للتبرك.
٥ ـ ومنها مساواة الإمام بين أصحابه وأتباعه في العطاء والهدية.

obeikandl.com